من المواقع الاثرية في كردستان

« بەردەبالک »

كمال نوري معروف

(*)

في الوقت الذي شهدت اوروبا فيه اخر العصور الجليدية المسماة Wurm، وذات ضغط عال. كانت مناطق الشرق الاوسط وشمال افريقيا وجنوب اوروبا الواقعة تحت التأثير المباشر لمناخ البحر الابيض المتوسط، ذات ضغط واطئ. وهذا التفاوت في الضغط ادى الى هجوم الرياح المحملة ببخار الماء من منطقة الضغط العالي الى منطقة الضغط الواطئ. وتسبب بطبيعة الحال باحداث عصور ممطرة. وقد أحدثت هذه التقلبات في المناخ تغيرات مهمة في الاحوال الطبيعية، فنمت نتيجة ذلك الاعشاب والنباتات، وشملت هذه التغيرات المناخية الصحاري ايضاً مما جعلت هذه الاقاليم الصحراوية ذات ثروة نباتية من الحشائش والاشجار [1]. الامر الذي يجعل من الطبيعي ان حدث تغيرات

كبيرة في حياة الانسان والحيوان والنبات، تناولت فيها هجرات بشرية وحيوانية متواصلة من الاماكن التي ساءت فيها الاحوال المناخية الى الاماكن الاخرى التي تحسنت فيها. [2]. وهذا حدىٰ

بالانسان ان ينتقل من تلك المنطقة الى الاخرى طلبا للقوات، أي انه عاش متجولا لايستقر في مكان واحد لفترة معينة. ولهذا السبب كان محل اقامته قصيراً ووقتياً وليس دائمياً وهذا يعني ان ممتلكاته الشخصية كانت محدودة جدا وهي لاتتعدى مايستطيع حمله معه اثناء تجواله وراء القوت [3]. ونتيجة لذلك ظهرت مواقع عديدة لسكنى اناس العصر الحجري القديم في العراء على ربوات في الهضاب قرب مجاري العيون وفي الكهوف والملاجئ الصخرية في كل من مصر [4] وتونس [5] وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية ومواقع اخرى في اماكن غير مكتشفة لحد الآن، نتيجة لقلة التحريات والاستكشافات الاثرية. ونظرا

الوقوع العراق ضمن المنطقة المناخية للبحر المتوسط فأن ظاهرة العصور الجليدية والعصور المطرة التي تقابلها قد اثرت فيها. من الطبيعي ان يجد الباحثون ادوار تلك العصور في المناطق الشمالية من العراق [6]. ومن هذه المواقع الموقع المسمى ب (به رده به لكه). وهو موقع في العراء على رابية منبسطة، على بعد ثلاثة كيلو مترات شمال شرق بلدة چمچمال. المحافظة السليمانية وعلى نحو 200 متر جنوب شرقي طريق كركوك - السليمانية. يقع على منحدر فرع قصير من فروع (چه شير واسو) الذي يجري باتجاه الجنوب الشرقي محاذيا محور سهل

چمچمال الى (باسه ره)، ومن ثم ينعطف الى الجنوب الغربي متجهاً الى طاوق جاي [7]. ومعنى الاسم بالكردية (حجر الاتكاء) او (حجر قائم) [8]. ويقول گيوي موكريا ني بخصوص كلمة (به له كه) في قاموس مهاباد - ص 48 مايلي : (ان «به له كه» في اللغة الكردية يأتي بمعنىٰ الساق [9]. وهذا يثبت إنه اعطىٰ نفس المعنى الذي ذكرناه انفا، وان الاسم مأخوذ من الحجر القائم الموجود في الموقع.

وهو عبارة عن قطعة واحدة من حجر الكلس غير منتظمة الشكل تكاد تكون اسطوانية لولا التآكل الحاصل في جوانبها وفي الجزء الاسفل منها. وطولها اربعة امتار ومحيطها في اعرض نقطة منها ايضا اربعة امتار الا ان محيط جزئها السفلي 4.20 متراً. [10]

ويعتقد الدكتور ناجي الاصيل ان الحجرة نصبت على قاعدة من الحجر مدفونة في سطح الهضبة [11]. بيد ان هذا الاعتقاد يناقض ماتوصلت اليه هيئة التنقيب في (به رده به لكه). تتكون اراضي چمچمال بصورة عامة من هضبة متموجة قليلة الارتفاع. تتخللها التلال والاودية والسهول الداخلية التي تأخذ نفس انحدار الارض من الشرق الى الغرب ومن الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي، وعدد من المنخفضات المتناثرة فوق تلك الهضبة، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر نحو 2200 قدما. تكونت في بادئ الامر من الترسبات البحرية ثم اغطتها طبقة كلسية وغرينية نشأت من المواد التي جرفتها السيول الى هذه المنخفضات. [12] وتربتها عميقة نشأت فوق التربات النهرية القديمة والتربات السطحية منها ذات بناء خشن سميك ثابت. اما موادها الاصلية فتسود بينها الصخور الجيرية. وتوجد تحتها على عمق يزيد على مترين طبقة من الحصباء الجيري والحصى. قد نشأت هذه التربات في المنطقة الحمراء الكستنائية،

وهي تتواجد في مرتفعات الاودية الجبلية ذات التموج البسيط [13] والامطار على قلتها تسقط في هذه المنطقة بعنف ولفترة قصيرة مما يجعل فعل التعرية المائية شديدا [14]. ورد في كتاب مختصر جغرافية العراق المؤلفه رزوق عيسى مايلي : (ارض چمچمال فيها صحار واودية غنية باشجارها الكثيرة ومياهها الغزيرة) [15]. وهذا يثبت على ان هذه المنطقة قد تعرضت وضعا صعبا لأن اغلب التربة جرفتها لامطار والثلوج، فلم تعد الصخور العارية قادرة على مد الاشجار. وفضلا عن ذلك فأن المناخ لايناسب نمواً سريعاً للاشجار. [16] وبالتالي يؤدي الى موتها وتعريتها من هذا

الغطاء الحيوي. واثناء زيارتنا للمنطقة وبتجوالنا بها شاهدنا اعدادا كبيرة من الينابيع الجافة القديمة التي تشبه الكثبان الرملية المتحجرة. التي يرتبط تكوينها بالتقلبات المناخية التي تعرضت لها المنطقة في الازمنة الجيولوجية. ولذلك اذا ماحفرنا في هذا التل نجد فتحة الينبوع، وهي ان دلت على شئ فأنما تدل على

انه في وقت من الاوقات كان مستوى الماء الباطني مرتفعا بحيث يسمح باندفاع الماء. ونستخلص من مجمل الاقوال ان تكوينات البريشيا المتمثلة في الصخرة القائمة والتي يرتبط تكوينها بظروف الجفاف. وفي الاخرى الحصى والحصباء فأن الموقع قد مرَّ بفترتين مناخيتين من المطر واخرى من الجفاف. [17] وفضلا عن ذلك فأن وجود رواسب حمراء في تربة الموقع السطحية يدل على وجود مناخ حار ومطر فصلي. [18] تتكون هضبة (الموقع) من طبقة الترسبات الكلسية من عصر البلايستوسين المترسبة فوق صخور عصر المايوسين ويقدر ثخن هذه الترسبات بين 10 — 15 مترا [19]

وتأخذ تلك الهضبة بالارتفاع شيئا فشيئا شرقا وجنوبا حتى ينتهي ذلك الارتفاع بقمتين منبسطتين، وجد في القمة الشرقية منهما، وهو على بعد يسير من الصخرة القائمة، حجارات متوسطة الحجم غائرة في الارض. تتألف منها دائرة غير منتظمة الاستدارة يقدر قطرها بنحو ستة امتار، يقول فيها سكان المنطقة

بانها قلعة قديمة [20]. اكتشف هذا الموقع عام 1949 أثناء رحلة الدكتور ناجي الاصيل مدير الاثار القديمة انذاك الى تلك المناطق. وقد وصفه وصفا دقيقا وعثر في موضع الصخرة القائمة على الات في الحجر والصوان، منتشرة على سطح الهضبة لمسافات واسعة. وحدد الفترة الزمنية على ضوء الملتصقات السطحية. واوضح أهمية وخطورته لكونه من اقدم المواقع الاثرية المكتشفة في المنطقة الشمالية لحد الان [21]. وفي اثناء جريان التحريات الجيولوجية والاركيولوجية وقتذاك في سهل چمچمال المتصلة بالتنقيبات في (جرمو وكريم شاهر) التي قام بها المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو والمدارس الاميركية الشرقية برئاسة الدكتور روبرت .. ج. بريد وود عام 1951. قام ا . ج . اي . رايت وبروس هاو من اعضاء بعثة تنقيب جرمو، بفحص موقع (به رده به لكه) وتبين لهما ان اجراء تنقيب استكشافي في بعض جهات الموقع قد يكتشف عن علاقات مهمة بين الازمان الجيولوجية المقدرة للمنطقة وثقافة العصر الحجري القديم المتمثلة بالفؤوس اليدوية والادوات الاخرى. ولما عرض

هذا الامر على الدكتور ناجي الاصيل وافق على اجراء التنقيب بالاشتراك مع مديرية الاثار العامة [22]. ابتدأ العمل في هضبة الموقع بحفر خندق متقطع طوله نحو 50 مترا وعمقه 1 — 2 مترا وخنادق وحفر صغيرة عديدة في مواضع اخرى وحول النصب الحجري. فتوصل الباحثان نتيجة هذه الحفريات ان الموقع مكونة من طبقة حضارية واحدة مطمورة تحت طبقة من الطمى والحصى بسمك 5 أقدام. وعثرت في خلالها على الات وادوات حجرية تكسوها ترسبات كلسية خضراء اللون ومن ثم بلون احمر تبني. واما الطبقة الحصوية فقد تماسكت تماسكا شديدا وتحولت الى كتلة مقاومة واحدة [23]. واستنتج الباحثان مايلي :

1 — ان النُصبَ في الواقع ماهو الابقية طبيعية لموقع دفاعي لم يتأثر بعوامل التعرية والتآكل. 2 — ان الادوات التي وجدت منتشرة على سطح الموقع كانت في بطن تلك الطبقة من الحصى ثم ظهرت على السطح او اعيد توزيعها بتأثير عوامل التعرية والتآكل في الازمنة التالية. 3 — ان الطبقة الحصوية بحد ذاتها المتكونة في الجدول والرسوبات قد كونت هناك غطاء لسطح السهل المتآكل الواسع في جمجمال وقد شققت الوديان الكبيرة هذه الرسوبيات والطبقة الصخرية التي تحتها الى عمق يتراوح بين 20 — 50 مترا وان كان التشقق في الجدول الصغير عند (به رده به لكه) قد بلغ الى عمق 10 — 15 مترا فقط. وتشير هذه العلاقات الى عظم اثرية هذا الموقع الجيلوجية، اذ منذ ان خرجت الادوات من الطبقة الحصوية السفلى الى السطح بتأثير عملية تآكل سطح المجرى،

تكونت طبقة من الغرين اعقبها تشقق عميق بسبب شبكة الوديان التي هي احدث زمنا. ان افق السكنى في هذه الطبقة الحضارية اقدم كثيرا مما هو في جرمو وكريم شاهر فالموقعان الاخيران وجدا في قمة (لاتحت) العظاء الغريني العائد للسطح المتآكل نفسه ومن المحتمل انهما تكونا بعد ان بدأ تشقق السطح الغريني. ومخلفات الانسان الحجرية التي وجدت في هذه الطبقة الحضارية قد صنعت الى ثلاثة اصناف وهي : 1 — الفؤوس اليدوية 2 — ادوات الحصى 3 — ادوات صوانية. اما الادوات الحصوية فجميعها من النوع الكلسي ويتألف من ادوات صنعت من حصى النهر الكروية الشكل او البيضوية وتتدرج طريقة صنعها من قشر حافات او أوجه الحصوة بقشط شظيتين او اكثر من وسطها، وغيرها بتشظية وجهين مزدوجين في الحافة. ويبدو لاول وهلة ان ادوات الحصى قد حرجت او نعمت ولكن الفحص

الدقيق اظهر ان الادوات المصنوعة من حجر الكلس هي بهذا المظهر فقط وبالاضافة الى ذلك ان ظاهرة التدحرج لم يكن بتأثير تآكلات التيار ولكنها على الاغلب ناتجة من فعل تآكل كيمياوي وقعت تحت تأثيره منذ انطمار الطبقة الحصوية. وقد كانت من جراء هذه العملية ايضا أن تآكلت سطوح الادوات التي هي على هذا الشكل بل ان السطوح المشظاة نفسها تكونت فيها حفر دقيقة بفعل ذلك. وادوات الصوان الدقيقة التي تؤلف معظم الصناعة في (به رده به لكه) على انواع مختلفة من مقاشط ساذجة مصنوعة من قطع صوانية لاشكل لها البته. وكذلك من شظايا وكسر لاتوجد على حافة او اكثر من حافتها علامة تدل على الاستعمال او الصقل اما اللب فعلى انواع فمنها القرصية الشكل والمتعددة الوجوه وكثير من هذه الانواع هو متوسط او صغير الجسم. اما الفؤوس اليدوية المصنوعة بعضها من شظايا كبيرة فيها شئ قليل من فؤوس رقيقة حسنة الصنع وكثير من الفؤوس الغليضة الساذجة الصنع وكانت في بدايتها على هيئة قلب او لوزة. وبينها عدد قليل من نوع Micoguian الطويلة. وبعضها مازال محتفظاً في طرف راسه او احد وجهيه بالقشرة الحصوية الاصلية. ويبدو ان جميع الادوات المصنوعة يعاصر بعضها بعضا ويوجد منها مخلوطا بالطبقة وعليها معالم الصقل مع شئ قليل من نوع عظام الحيوانات. وبالاضافة الى الالات والادوات الحجرية فقدا استخرجت مجموعة مفيدة من البقايا الحيوانية، بالرغم من الحالة الهشة التي هي عليها كثير من هذه المواد وتتألف بالدرجة الاولى من اسنان وكسر اسنان وقليل من كسر العظام. وقد دلت الدراسة السطحية المستعجلة التي قام بها (فردريك بارث) من المتحف الاثنواغرافي التابع لجامعة (اوسلو) لمواد هذه الحيوانات المنقرضة على انها في الغالب تعود الى جنس الحصان او الحمار الوحشي وبينهما كسر قليلة لعظم كبير لجنس الثور الوحشي وعظام جنس الماعز الوحشي او جنس الغنم الوحشي وعظم طويل للغزال او الوعل وا الايل الوحشي وعظم اخر طويل لجنس الضيل الوحشي وكسر قليلة من قشرة درع سلحفاة واصداف قواقع. وابرز مايمتاز به موقع (به رده به لكه) من الناحية الاركيولو جية اجتماع اللب والحصى وادوات الحصى وادوات الصوان الدقيقة في افق للسكنى واحد. وقد اثبتت هذه الحقيقة حالة جميع قطع الصوان الحسنة المنظمة التي كان عليها بغض النظر عن نوعها والوضع المتداخل لكل اصناف الادوات والحيوانات في ضمن الطبقة الحصوية. ومظهر الصوان غير المصقول وتجمع المواد المصنوعة يوحي كله بان هذه المواد كانت في مواقعها على وفي الطبقة الحصوية، او ان هذه المواد لم تغير اماكنها الاقليلا بحيث القول انها مازالت في مواضعها الاولى [24]. ويقول الباحثان ان المقادير الهائلة من كسر الشظايا غير المصنوعة والعدد الكبير من قطع اللب وكسر اللب الموجودة في الطبقة الحصوية يدل بان هذا الموضع كان مصنعاً لعمل الادوات [25]. وهذا يثبت ان الموقع تعرض الى هجرات بشرية وحيوانية عديدة خلال الاف السنين، و تركوا نتيجة لذلك اعداد هائلة من الالات الحجرية في اماكنها الاصلية. وبذلك فأن الباحثين على حق حينما يقولان ان الموقع بمثابة مصنع لعمل الادوات او مكانا للذبح لكثرة ماعثر من البقايا العظمية. لم يكتشف خلال التنقيب بقايا اثار نار او عظام محروقة وهذا قد تعني ان الانسان في هذا الموقع لم يستخدم النار، اذ يبدو ان المناخ الدافئ الذي تتميز به المنطقة لم يشجع على استخدامه [26]. اوليس ببعيد ان يكون عدم الكشف ناتج عن محدودية التنقيب وان اجراء تنقيب تكميلي في المستقبل قد يكشف لنا هذه النقطة غير المعلومة لحد الان. ونقطة اخرى لابد ذكرها هي عدم العثور على بقايا اثار لمأوى انسان ذلك العصر في (به رده به لكه) وبمقارنتها بالامكن الاخرى ومن نفس الفترة فأن انسان الحضارة الاشيلية يبنى كوخه بيده، حيث اثناء الربيع او حينما يكون الجو دافئاً دأبت هذه الجماعات على التحرك والانتقال من مبتعة لاخرى مستخدمة في ذلك اكواخا وقتية من السهل عليها بناؤها بسرعة او هدمها [27] وهذه الاكواخ على اشكال مختلفة، وهو وعلى الارجح ان الانسان بنى كوخه بشكل يكون ارضيته غاطسة الى عمق معين وسقفه من كتل خشبية ووضع عليه جلود الحيوانات وعظامها والاتربة، اي بمثابة حفرة في الارض ليعيش فيه وحده. [28] يقول الدكتور ناجي الاصيل بخصوص زمن (به رده به لكه) مايلي : (ان الانسان سكن موقع (به رده به لكه) في عصرين، اقدمهما عصر الفؤوس المنتشرة على سطح الموقع وثانيهما زمن الصخرة المنتصبة) [29]. وقد استند على هذا التقسيم نظرا العثوره على مجموعة كبيرة ومختلفة من الفؤوس الحجرية على سطح الهضبة اثناء زيارته للموقع عام 1949 كما ذكرنا سابقاً. ويمكن ان نعتمد على هذا التقسيم كقاعدة لنا، لنتحدث عن كل فترة من هاتين الفترتين على حد. 1 — زمن الفؤوس الحجرية ! تتكون الفؤوس الحجرية التي

عثرت في هذا الموقع على انواع واشكال مختلفة منها حسنة الصنع واخرى ساذجة وبينها عدد قليل من نوع Micogian الطويل. يقول گوردن چايلد (ان الفأس الحجرية، وهي الاداة المميزة لقسم في الاقل من العصر الحجري، انتاج محلي يمكن صنعها واستعمالها من قبل أي فرد في مجموعة مكتفية ذاتياً، سواء اكانت تلك المجموعة من الصيادين ام من المزارعين. فصنعها لايقتضي تخصصا في العمل، ولاتجارة وراء الحدود المجموعة) [30]. وهذا يؤكد ان صناعة الفأس الحجرية محلية وغير منقولة من مكان اخر. الا أن التشابه الدقيق بين هذه الفؤوس ومن مصادرها المختلفة [31]. مايجعلنا نعتقد ان الامر خاضع لتقليدمنقول او ثقافة متداولة. [32] وان الانواع المختلفة من هذه الفؤوس الحجرية قد مرت بمراحل صناعية وثقافية مختلفة ابتداءا من اقدمها وانتهاء باحدثها. وهذه المنطقة شهدت هجرات بشرية عديدة وتنوعا في الثقافة وتغيرا في اسلوب نمط الحياة يقول هربرت رايس وبروس هاو بخصوص زمن هذه الفؤوس الحجرية مايلي : (اما من حيث اصناف هذه الفؤوس الحجرية المستخرجة من (به رده به لكه) فأنها تشبه مواد الدور الاشولي والتا يسي والموستيري التي ظهرت في اوربا الغربية وترجع الى الحقبة الدافئة الاخيرة والدهر الجليدي الاخير) [33]. يقول الاستاذ طه باقر (ان الادوات الحجرية المتمثلة بالفؤوس الحجرية في «به رده به لكه» وما يقولون عنها، انهاتشبه الادوات الاشولية والكلاكتونية والمستيرية المحلية، وخصصت لها العصر الجليدي الاخير مابين 100,000 إلى 60,000 الف عام. ثم يستمر ويقول على أن الدور المستيري اقرب الى الادوار التي يرجح نسبتها اليه) [34]. ومقارنة بالرأي السابق نستطيع ان نقول ان اقدم سكنى في (به رده به لكه) قد بدأ في الفترة الاشولية استنادا الى المخلفات الحجرية التي تركها الانسان في هذه الفترة. وقد استمر السكنى ولو لفترات قصيرة (غير مواسم الامطار) باستمرار ولالاف السنين. ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة في كثرة الالات والادوات الحجرية الموجودة في الموقع. المهم ان الموقع مأهول بالانسان والحيوان في جميع هذه الحقبات.

2 — زمن الصخرة المنتصبة : وهذه الصخرة كما اثبتت التنقيب عبارة عن كتلة مقاومة غير متأثرة بعوامل التعرية والتآكل. الا ان التعديل الذي طرأ عليه ومشاهدته في شكله الحالي من عمل الانسان، حيث عدله بالشكل الذي يراه مناسباً لاكمال هدفه الديني يسعى من اجله. واذا صح كلامي هذا استطيع ان اقول انه في شكله هذا كالانصاب البدائية الاخرى المقامة لاغراض دينية .

وهناك مايماثلها في مناطق اخرى من العالم في اسيا واوروبا وافريقيا [35]. ولتحديد وظيفة النصب يوجد اراء وتفسيرات مختلفة وعديدة، حيث يرىٰ البعض : (أنها صورة شخصية للموتى) [36]. واذا صح هذا فأنها ترمز الى روح الميت. حيث اخذ الانسان يغير شكل الحجر عن الشكل الطبيعي الى شكل هندسي بسيط [37]. ولما رسخت فكرة قدسية هذه الاحجار بعقلية الانسان تقدم له الصلاة. [38]. او بمثابة تذكار مقدس لبعض الشؤون او اشارات، ومن الممكن ان يكون التذكار يمثل صورة الاله على الارض تعبد ويقدم له الهدايا. [39] ورد في دائرة المعارف الاسلامية ج ـ 10 ـ ص 197 مايلي : (والنصب ماجعل علما وكل ماعبد دون الله والانصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل عليها ويذبح لغير الله) [40]. وهذه اشارة الى استمرارية عادة الانسان في جعل تلك الاحجار المنصوبة بمثابة وثنا، يعبده ويقدم له الضحايا. اذن بالاستطاعة ان نستنتج ان هذه الحجارات المنصوبة تمثل فكرا دينياً في عبادة الاله او الموتى. وقد اعتبر الانسان هذا النصب بمثابة وثن ممثلا على الارض. كان من السهل الاكثار من هذه الاوثان فازداد الالتباس بين الاله وصورته، ايهما الحقيقي وايهما الصنو [41]. ونستنبط من كل هذا ان زمن هذه الانصاب او فكرة اقامتها وتعبدها تعود الى بداية العصر الحجري الحديث.

عاش الانسان القديم او البائد المعروف بالنيندرتال في هذا الموقع وفي غيره من المواقع الاخرى المماثلة في العالم. وقد اعتمد في معيشته على ماكان يصطاده او يستجمعه من قوت وقد ترك خلفه في مناطق سكناه ادواته الحجرية التي كان يستعملها في الدفاع عن النفس او في الهجوم والصيد وهي معمولة من لب الصوان غير مصقول واكثرها على هيئة الكمثري وترجع بعهدها الى العصور الحجرية القديمة من النوع المعروف الاشولي ويقدر تاريخها باكثر من مائة الف سنة [42] . وكان قابليته الجسمية (*) المحدودة. وبيئته القاسية ساعدته في النماء قابليته ومهاراته الفنية في اختراعه لهذه الالات الحجرية ليستطيع ان يحصل بواسطته على غذائه وهذا شغله الشاغل ان يقضي معظم اوقاته

في هذا البحث. ويتبين هنا بوضوح ان اقتصاده طفيليا بحتاً ذات نزعة فوضوية الذي يعيش افراده يوما بيوم [43]. وكان ذلك الانسان يعيش في صراع من اجل البقاء ولفترة طويلة مع الفيلة والكركدن في ربوع (به رده به لكه) حيث كانت تختلف عما هي عليه الان من خلو من النباتات والاشجار، ففي زمانهم كانت المنطقة تعم بالغابات والحشائش الخضراء. [44] والانسان في ذلك العصر قلما كان يقيم في مكان مالمدة طويلة حيث ان التغيرات الموسمية في منطقة ماتؤدي بالانسان ان ينتقل من تلك المنطقة. وبذلك لايمكنه ان يعرف معنى للوطن كما ان الرابطة بين افراد اسرهم تكون واهية لأن كل فرد يسعى الى الحصول على رزقه دون التفكير بالاخرين [45] ونستنتج من هذا انه لم يكن هناك مجتمع بالمعنى الصحيح بل نوع من التجمع وسط صياد يوصف بكونه دافئاً ورطبا بشكل ساهم في توفير مصدر رزقه. وان المشاعية الجنسية كانت هي السائدة [46]. ويتبين من هذا ان العائلة ليس لها وجود بل الحياة فردية أي ان الفرد يعيش لوحده وعاطفة الامومة كافية لتربية الطفل. ونقطة اخرى لابد ذكرها وهي ان السبب الذي ارغم الانسان القديم على التفكير لصنع فؤوسه اليدوية هوانه صنعها في بادئ الامر لحفر الارض واستخراج مافي داخلها من جذور النباتات حيث ان حياة الانسان وشعوره بالجوع الدائمي ووجود غطاء نباتي واسع اجبره ان يخترع هذه الالة ليس لتقطيع الحيوانات وقتلها كما يتصور الاخرون حيث ان هذا يأتي في المرتبة الثانية. وبطبيعة الحال فالانسان لم يكن صيادا بالمعنى الصحيح الا في المناطق التي حبتها الطبيعة بوفرة من حيوانات الصيد، وكميات الطعام من الخضروات قليلة او معدومة، وفي معظم ارجاء العالم كان الانسان يعتمد على البذور وعلى جذور وثمار النباتات اكثر من اعتماده على اللحوم [47]. وكانت تتحكم ظروف البيئة في التقدم الاقتصادي والاجتماعي للانسان. واخيرا يبدو ان الحضارة الاشولية كانت قد ظهرت في اوروبا اولا ثم ظهرت في منطقة (به رده به لكه) ومنها انتقلت الى باقي مناطق شرق بحر الابيض المتوسط بسبب هجرة الصيادي من أمثال صيادي (به رده به لكه). وهذا يعلل وجود تشابه كبير في صناعتهم الحجرية وبالاخص الفأس اليدوية، وهذا التشابه فسر الباحثون بان جميع هذه المناطق توازي خط الهجرة الجغرافي الذي ربما كان اكثر وضوحا في عصور البلايستوسين منه في الوقت الحاضر. [48]

الهوامش :

* ـ شهدسطح الكرة الارضية اربعة عصور جليدية منذ ما قبل حوالي ستمائة الف عام ، في عصر البلايستوسين ، حيث غطى الجليد مساحات واسعة من سطح الكرة الارضية . وقد تخللت هذه العصور فترات دافئة انسحب فيها الجليد قليلا ، واخرها العصر الجليدي المعروف بـ (Wurm) حيث بدأ ما قبل 120 الف عام حتى 10 آلاف عام قبل الميلاد .

لزيادة المعلومات أنظر ! احمد سوسه ـ الري والحضارة في وادي الرافدين ـ جـ 1 ـ ص 181'182

و! فوزي رشيد ـ نشأة الدين والحضارة والعصور الجليدية ـ سومر ـ الجزء الاول والثاني والثلاثون ـ ص 19,15,13.

ونتيجة للتحريات والاستكشافات التي قام بها الاستاذ هربرت رايت في الجبال والتلول والسهول الواقعة شمال شرق العراق المتاخمة للحدود الايرانية توصل الى النتيجة التالية : (ان المنطقة شهدت عصرين جليديين حيث غطى الجليد خلالها مساحات فيها وامتدت الى جميع الوديان) .

لزيادة المعلومات انظر: مجلة سومر ـالعدد الثاني 1954 ـ الجزء العاشر ـ القسم الانكليزي ـ ص 136 — 138.

1 — الدكتور فوزي رشيد ـ نشأة الدين والحضارة والعصور الجليدية ـ سومر ـ الجزء الاول والثاني 1976 ـ المجلد الثاني والثلاثون ـ ص 15.

2 — الدكتور احمد سوسه ـ الري والحضارة في وادي الرافدين ـ ص 183.

3 — سعد الرويشدي ـ نظرة في منجزات انسان ماقبل التاريخ في ضوء الدراسات الحديثة ـ سومر ـ الجزء الاول والثاني 1970 ـ المجلد السادس والعشرون ـ ص 376.

4 — الحضارة المصرية هي خير مثل للحضارات التي عرفنا تأريخ نشأتها كاملا. فعلى ظهر ارضها عثر على اقدم ماصنعه الانسان في العصر الحجري الاول من الصوان الشيلي والاشيلي، وكلاهما يرجع الى عهد الامطار الغزيرة التي كانت تنهمر على الجبال الشرقية. لزيادة المعلومات انظر : السير فلندرز بنزي ـ الكشف عن الماضي المجهول ـ تاريخ العالم ـ المجلد الاول ـ الطبعة الثانية ـ ص 40.

5 — من الممكن اجراء مقارنة نوعية ومر فلوجية مع الصناعة التي وضعها كوبرت في (سيدي زين) قرب الكهف في الشمال اواسط تونس. فقد وجد هناك بقايا عدة من المقبرات، ومجموعات من اللب وادوات كبيرة من الصوان والحصى الكلسي مع سلسلة من ادوات دقيقة من صوان لاشكال لها وشظايا الصوان البلوري، وكانت الفؤوس اليدوية اجمل شكلا.

انظر : أ . ح . اي وبروس هاو ـ التنقيبات الاستكشافية في (به رده به لكه) ـ سومر ـ الجزء الثاني 1951 ـ المجلد السابع ـ ص 210.

6 — طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ـ ج1 ـ الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين ـ ط1 ـ ص 175.

7 — هربت رايت وبروس هـاو ـ سومـر الجزء الثـاني 1951 ـ المجلد السابع ـ ص 207.

8 — صبه باقر وفؤاد سفر ـ المرشد الى مواطن الاثار والحضارة ـ الرحلة الرابعة ـ بغداد ـ كركوك ـ السليمانية ـ ص 14.

9 — گيوي موكاياني ـ قاموس مهاباد ـ ط١ ـ اربيل 1961 ـ ص 84

10 — الدكتور ناجي الاصيل ـ جولة استطلاعية في مـواطن الاثار في الالوية الشمالية ـ سومر ـ الجزء الثاني ـ المجلد الخامس ـ 1949 ـ ص 313.

11 — نفس المصدر العاشر ـ ص 313.

12 — الدكتور فرج بصمه جي ـ العصور الحجرية في العراق على ضوء الاكتشافات جديدة ـ سومر ـ الجزء الثاني ـ المجلد الحادي عشر 1955 ـ ص 117.

13 — الدكتور شاكر خصباك ـ العـراق الشمالي ـ دراسـة لنواحيـه الطبيعية والبشرية ـ بغداد ـ 1973 ـ ص 113.

14 — الدكتور خطاب العاني ـ جغرافية العراق الزراعية 1972 ـ ص 37.

15 — رزوق عيسى ـ كتاب مختصر جغرافية العراق ـ ط١ ـ بغداد 1922 ـ ص 297, 296

16 — نفس المصدر الثالث عشر ـ ص 81.

17 الدكتور محمد السيد غلاب، الدكتور يسرى الجوهري ـ الجغرافيا التاريخية ـ عصر قبل التاريخ وفجره ـ ط١ ـ 1968 ـ ص 30.

18 — نفس المصدر السابعة عشر ـ ص 23.

19 — نفس المصدر الثانية عشر ـ ص 118.

20 — نفس المصدر العاشر ـ ص 313.

21 — نفس المصدر العاشر ص 314.

22 — نفس المصدر السابع ـ ص 207.

23 — نفس المصدر السابع ص 208, 207.

24 — نفس المصدر السابع ـ ص 210, 209, 208

25 — نفس المصدر السابع ص 210

26 — نفس المصدر السابع عشر ـ ص 310

27 — طه الهاشمي ـ مفصل جغرافية العراق ـ ط١ ـ بغداد 1930 ـ ص 304, 303

28 — نفس المصدر السابع عشر ـ ص 312.

29 — نفس المصدر العاشر ـ ص 314.

30 — كلايد كلاكهون ـ ترجمة وعلق عليـه الدكتور شـاكر مصـطفى سليم ـ الانسان في المرآة (علامة الانثرو بولوجي بالحياة المعاصرة) ـ ص 95

31 — نفس المصدر السابع عشر ـ ص 264.

32 — جريدة الجمهورية ـ صفحة تحقيقات عالمية ـ 14 ـ (العلم وتطور الانسان) ـ ترجمة ميسون ابو الحب ـ 1983/1/16.

33 — نفس المصدر السابع ـ ص 210.

34 المصدر السادس ـ ص 177.

35 — طه الهاشمي ـ تاريخ الاديان وفلسفتها ـ بيروت 1963 ـ ص 188.

36 — ارنولد هاوزر ـ ترجمة د. فؤاد زكريا ـ الفن المجتمع عبر التاريخ ـ ج١ ـ ط٢ ـ 1981 ـ بيروت ـ ص 23.

37 — نفس المصدر السادس والثلاثون ـ ص 23.

38 — احمد زكي بدوي ـ فجر التاريخ ـ اسكندرية ـ ص 69.

39 — احمد زكي بدوي ـ تاريخ التطور الديني ـ ص 12.

40 — دائرة المعارف الاسلامية ـ ج 10 ـ ص 197.

41 — نفس المصدر التاسع والثلاثون ـ ص 12.

42 — نفس المصدر الثاني عشر ـ ص 116.

* ـ عاش هذا الانسان خلال الزحف الجليدي الاخير وكان قصير القامة متين البنية كبير الجمجمة وعظامه غليظة ولاسيما عظام حواجبه الضخمة كأنها المظلمة تشرف على فجوات العين الواسعة العميقة. والحنك يكاد يكون معدوما، وله محفظة دماغية شبيهة بمثيلاتها عند الانسان الحالي والانسان كبيرة نسبياً. هذا الانسان بصفاته العامة لم تكن قامته عاملة الانتصاب وكان بارعـا في الصيد. لزيـادة المعلومات انـظر ! عادل حـاتم جوزي ـ الجيولوجيا للجميع ـ ص 48 وما بعدها.

و : الجغرافيا التاريخية ـ ص 208, 207, 206, 205, 204,

ازال الانسان العاقل هذا الانسان البائد المعروف بـالنيندرتـال الذي سبقه في العيش قبل حوالي 35 ألف سنة ومرجعه تفـوق الانسان العـاقل بجسمه وذكائه وتكنولوجيته (أي تفوق الشفرات على الشظايا الموستيرية).

لزيادة المعلومات انظر : الدكتور عبدالجليل جواد ـ سومر 1971 ـ الجزء الاول والثاني ـ المجلد السابع ـ ص 26 وما بعدها.

و :عبدالجليل جواد ـ سومر 1972 ـ المجلد الثامن والعشرون ـ الجزء الاول والثاني ـ ص 42.

ومن المحتمل ان تلك السلالة من الانسان العاقل قد حوت صفات طبيعية من العنصرين الزنجي والمغولي اضافة لبعض الصفات الاسترالية. وهذا الانسان يعيش على الارض الان.

انظر : المصدر الثلاثون ـ ص 161.

والسؤال الذي طرح نفسه بهذا الخصوص الان هو هل يكون الانسان العاقل هو آخر ضيف تستقبله كرتنا الارضية أم هل سيخرج لنا في احد الايام نوع جديد يلغينا من على وجه البسيطة ؟؟

43 — نفس المصدر السادس والثلاثون ـ ص 29.

44 — فؤاد حمه خورشيد ـ جـريدة العـراق ـ ص 25 ـ العدد 601 ـ 1978/2/18

45 — لويس اسكندر ـ الانسان والبيئة ـ ص 12.

46 — نفس المصدر السادس ـ ص 613.

47 — عادل ابو النصر ـ تاريخ الزراعة القديمة ـ ط١ ـ 1980 ص 14

48 — سيتون لويد ـ ترجمة الدكتور سامي سعيد الاحمد ـ اثار بلاد الرافدين ـ ص 21.